فصلية علمية- محكمة نصف سنوية. دراسات حديثة في نهج البلاغة. السنة الثانية، العدد الثاني (المتوالي۴).
ربيع وصيف ۱۳۹۸ش/ ۱٤٤۰ق من صفحة ۸۳ الى ۹۰

Biannual Journal *Current Studies in Nahj al- Balaghah*.
Vol. 2, No. 2, Spring & Summer 2019; (Issue 4). pp. 83-90

كيفية نقل مضامين نهج‌البلاغة إلى المجتمع (تأكيدًا على اللُّغتين الفارسية والعربية)

محمد حسن تقيه

تأريخ الاستلام: ۱٤۳۹/۰۱/۲۳ تأريخ القبول: ۱٤٤۰/۸/۲۸

أستاذ مساعد في قسم اللّغة العربيّة وآدابها بجامعة «پَيام نور»، طهران، إيران: mhtaqiyeh@gmail.com

Ways to Promote transfer of Teachings of Nahj al-Balaghah to Society (With Emphasis on Persian and Arabic)

Mohamad Hassan Taqiyeh

Received: 20 April 2018 **Accepted: 24 August 2018**

Associate Professor in Arabic Language and Literature, Payame Noor University; mhtaqiyeh@gmail.com

الملخّص

لقد حان الوقت لكى نسلم بأن كتاب نهج‌البلاغة للإمام على (ع) يحتل مكانة مرموقة بين شعوب العالم، خاصة الفرس بحسب مصدره الإلهى. ومما لا شك فيه أن المترجمين والشارحين الأفذاذ لعبوا دورًا هامًّا في هذا الصدد. ومع ذلك نجد أن نهج‌البلاغة غير معروف لمعظم الجماهير الناطقة باللغة الفارسية لأن مفاهيمه القيمة لم تنقل إليهم على أسلوب ناجح كما هو حقه.

ومن أسباب ذلك أن كلام الإمام على (ع) غنى بالمعانى، وأنه في مستوى رفيع؛ لأنه بعد كلام الله تعالى وكلام رسوله (ص). أضف إلى ذلك عدم وجود المتخصصين المحترفين، وضعف بعض المترجمين في مهمتهم المهنية. فنجد أنفسنا مازلنا ندور في الفلك التقليدي لنقل مضامين نهج‌البلاغة دون مدخل علمى أكاديمى، لأن الخسائر والأضرار العديدة التى لحقت بالدين والمجتمع الدينى طوال التأريخ سببها عدم فهم النصوص الدينية بشكل صحيح وعدم تطبيقها.

ومن ناحية أخرى، فإن الاعتماد على الطريقة التقليدية للدعاية والإعلام، وعدم استخدام الأدوات الحديثة من مثل: الفضاء السيبراني، والأقمار الصناعية، وما إلى ذلك، فضلًا عن عدم تصنيف أبحاث نهج‌البلاغة وعلومه يسبب ابتعاد المخاطبين عنه وإن عدم التعرف عليهم وتصنيفهم سنًّا وعلمًا يؤدي إلى فرارهم منه، ولا سيما الشباب.

تعتمد الدراسة التى بين أيديكم على المنهجية الوصفية . التحليلية فإن الباحث يحاول توفير مضمار صحيح وبنّاء لإبداء مفاهيم نهج‌البلاغة ومضامينه القيمة من خلال تقديم الحلول العلمية والتطبيقية.

المفردات المفتاحية: الإمام على (ع)، مفاهيم نهج‌البلاغة، التعرّف على المخاطب، النصوص الدينية، ترجمات نهج‌البلاغة.

Abstract

Today, Nahj-ul-Balaghah has a high position in the hearts of Persian-speaking people specially Iranians for its divine source. Of course, educated translators and interpreters have played a significant role in this area.

However, Nahj-ul-Balaghah is unknown to most of Persian-speaking audience. Because, the teachings of this precious book has not been transferred properly to the human society. The important reasons are Imam Ali's *naghz*, good and fresh, words, original heavy text, low usage of some idioms, lack of professional experts, and weakness of some translators carrying out their professional mission.

On the other hand, relying on the traditional advertising methods, not taking advantage from messenger tools such as virtual space, satellite, etc as well as not classifying of Nahj-ul-Balaghah research resulted in audience escape. Poor knowledge of audience and not classifying of audience in terms of age and education lead to audience escape specially youth from worthy contents of Nahj-ul-Balaghah. The author aims to present scientific and applicable solutions in order to provide a constructive approach for transferring Nahj-ul-Balaghah teachings.

Keywords: Imam Ali (AS), Nahj ul-Balaghah teachings, Knowledge of audience, Religious texts, Translations of Nahj-ul-Balaghah.

١ – المقدّمة

إن المجتمع العالمي اليوم بحاجة ماسة إلى القضايا الدينية والأخلاقية لأن فراغها محسوس في عالمنا السياسي والاقتصادي والثقافي وغيرها. ولا شك أن أثرا قيمًا، مثل نهج‌البلاغة، يمكن أن يكون ضوء الطريق الذي يهتدي به الشعب دينيًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا.

نهج‌البلاغة هو آراء وكلام بليغ وحِكم و نصائح وحكاية حية ومرآة للإنسان ومما لا شك فيه أن الإمام علي (ع) كان يلقي نهج‌البلاغة دون تسجيل وتسويد على شعبه في ذلك الوقت. وفي هذا الصدد كان الشعب يتمتع بكلامه الثمين محتفظًا به.

أنزل الله العظيم رسالته إلى الجمهور بالوحي المباشر في القرآن الكريم على رسوله، محمد (ص) حينًا وبشكل غير مباشر في شكل كتاب نهج‌البلاغة للإمام علي (ع) حينًا آخر. ولذلك، فإن الهدف الغائي لمضامين هذا الكتاب هو "إبلا غ رسالة الله".

كتاب نهج‌البلاغة هو وثيقة الشرف للمجتمع الإسلامي وعَلَمُه، خاصة للشيعة. ومضامينه هي مصباح طريق البشرية المتعطشة للعدالة والتحرّر والتديّن في جميع أنحاء عالمنا هذا. «نحن فخورون بأن كتاب"نهج‌البلاغة" الذي يلي القرآن من الإمام المعصوم فهو يأمر بالحياة المادية والروحية وأعلى كتاب تحرّر للبشرية، وأوامره الروحية والحكومية هي أعلى مسار النجاة» (صحيفة الإمام الخميني (ره)، ١٣٦٢: ٣٩٦).

١–١– عرض الموضوع

إذا نظرت إلى كتاب نهج‌البلاغة ، فإنك تجد فيه القضايا الأخلاقية والدينية، وحتى الأدبية في كلام الإمام علي (ع) الثمين والفاخر على أسلوب جميل ورشيق بكل سهولة لأن هذا الكتاب القيم بحرٌ زاخر يمكن تذوّقه قدر الإمكان. فرغم أن جميع الناس لا يتمكنوا أن يتعلموا مضامينه كلها ويطبقوها في حياتهم الشخصية والاجتماعية، ولكن يمكن للمرء أن يفهمها قليلًا ثم يعثر على جواب بعض أسئلته ونقاطه االغامضة. ففى هذا الصدد يقول طه حسين: «أنا لا أرى و لا أعرف بعد الوحي وكلام الله كتابًا يجيبني جوابًا أبلغ وأجلّ عن المعرفة والشخصية من نهج‌البلاغة» (حسين، ١٣٥٤: ٤٠).

فاليوم نرى أن نهج‌البلاغة، الأخ الصغير للقرآن الكريم، والأثر الباقي لأمير المؤمنين (ع)، فسح المجال في قلوب سكان العالم بحيث يؤكد العلماء وباحثو الدين على حقانيته وأصالته. فيقول ابن أبي الحديد عنه: «سطر واحد من كتاب نهج‌البلاغة يعادل ألف سطر من كتاب ابن نباتة والخطيب الفاضل ولا مثيل له في عصره.» (الحسيني الخطيب، ١٤٠٥: ٩١) أو يشير الآلوسي: «إن كتاب نهج‌البلاغة الذي يشمل خطب الإمام علي (ع) فهو شعاع من النور الإلهي الذي يضيء بفصاحة المنطق النبوي.» (م. ن: ٧٨) ومن ثم يضيف في موضع آخر: «نهج‌البلاغة فهو فوق كلام المخلوق وأدنى من كلام الخالق.» (م. ن: ٩١).

إن الجماليات اللفظية والروحية وصور الخيال في كتاب نهج‌البلاغة تموج وتبدو جيدة جدًّا. فإذا نقلت المواضيع المذكورة أعلاه بشكل صحيح وعلمي أكاديمي إلى المجتمع الإنساني، فإنها تتمكن من أن تروي كل إنسان روحيًّا ومعنويًّا إلى حد ما، ولكن العرف الذي استقرت عليه المناهج منذ سنوات طويلة في نقل مضامين نهج‌البلاغة لايولي اهتمامًا لفهم المخاطبين غير الناطقين باللغة العربية فالسؤال الرئيس هو: هل يتمتّع غير الناطقين بها في أنحاء العالم، مثل العرب؟

١–٢– أهداف البحث وسابقيته

الهدف الرئيس من البحث هو أن يعرّف الحلول الفاعلة و يصنّفها لنقل مفاهيم نهج‌البلاغة ومضامينه لكي يتمكن باحثو نهج‌البلاغة من العثور على مخاطبهم بكل سهولة.

وأمّا سابقية البحث؛ فلقد بذل العلماء الفارسيي اللغة قصارى جهودهم على مدى عشرة قرون تقريبًا، لنقل أقوم كتاب ديني وأكثر قيمة في العالم الإسلامي بعد القرآن الكريم إلى مخاطبهم، والحمد لله، اليوم نرى الأعمال الجيدة في كافّة جوانب كتاب نهج‌البلاغة. ولكن على حد علمي، فلم يتم الحديث عن الكيفية التي يمكن بها نقل مفاهيم نهج‌البلاغة علميًّا أكاديميًّا منهجيًّا إلى مخاطبهم الخاص.

إذا نظرنا بنظرة حادة ودقيقة إلى ردود الفعل للبحوث التي تمت عن نهج‌البلاغة، يتبيّن لنا بكل سهولة أن معظمها إما لا يرحب بها المجتمع وإما يرحب بها قليلًا. فمن هنا،

يأمل الباحث أن يتمكن من تمهيد مضمار علميّ أكاديميّ لتوفير نقل مفاهيم نهج‌البلاغة منهجيًّا هادفًا حيث يستقبل القراء ومحبّو هذا الكتاب القيم بكل ترحيب في أنحاء العالم. فإن الهدف الرئيس من هذه الدراسة هو تمكين غير الناطقين بها من الاتصال الفعال بنهج‌البلاغة.

١-٣- الأسئلة والفرضيات

الأسئلة الرئيسية للبحث هي:

. كيف يمكن تحديث نقل مفاهيم نهج‌البلاغة ومواضيعه إلى كل شريحة من شرائح المجتمع؟

. هل تمكّن المترجمون من أن ينقلوا الكلمات المجيدة للإمام علي (ع) إلى المجتمع الفارسي اللغة؟

يرى المؤلف – بالنظر إلى جميع الدراسات العلمية والأكاديمية – أن مفسّري نهج‌البلاغة ومترجميه وشارحيه وغيرهم مأرادوا أو لم يتمكنوا من أن يدركوا المواضيع الخفية لهذا الكتاب الثمين لأنهم لم يتعرفوا على اللغتين العربية والفارسية علميًّا أكاديميًّا، ولم يدرسوا موضوع تصنيف المخاطبين بنيويًّا وأساسيًّا ففشلوا في مهمتهم وهي اجتذاب المخاطبين. بيد أننا لا ننكر أنها ظهرت في الفترة الأخيرة إضاءات وومضات في المناهج تحاول أن تتبنى المنهج التكاملي في نقل مضامين نهج‌البلاغة لتحقيق أكبر استفادة له.

ومن ناحية أخرى، أدى عدم التجانس وبعض التحيزات الذاتية إلى منع مئات النقاط الأخلاقية والدينية والأدبية من أن تصبح واضحة لأن الشيعة الفرس لم يتمكنوا من دراسة مضامين نهج‌البلاغة ومفاهيمه القيمة في اجتماعاتهم العلمية والأدبية والدينية بشكل صحيح تخصصيّ ونقلها إلى جمهورهم رغم أنهم بذلوا جهودًا جيدة.

١-٤- أسلوب البحث

المنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي لأن كاتب هذا المقال متضلع في اللغتين الفارسية والعربية، فيحاول أن يدرس الموضوع على منهج المكتبات ويأتي بآراء أصحاب اللغتين المتخصصين حول هذا الموضوع ويستفيد من مصادر اللغتين ومراجعهما. و يمهّد المسار الصحيح لدراسة نهج‌البلاغة للجامعيين وعلماء الدين وحتى الأدباء من خلال المنهج التحليلي الوصفي.

٢- الحلول الفاعلة لنقل مضامين نهج‌البلاغة

المعايير الدينية تشتمل على مجموعة من القواعد الفردية والجماعية التي وضعها الله تعالى لهداية مخلوقاته فحينئذ الناس بحاجة ماسّة إلى الرسل والأئمة الذين يرشدونهم إلى الصراط المستقيم بتزويدهم بالمعنويات والأحكام الإلهية والمبادئ الأخلاقية والقيم الدينية فههنا يتعين دور الرسل والأنبياء وغيرهم لبشارة شعوبهم وإنذارهم لتتم رسالتهم الإلهية. فقد قال الإمام علي (ع) في هذا الصدد: «إنَّ الله تَعالى أنْزَلَ كِتابًا هادِيًا بَيَّنَ فِيهِ الْخَيرَ وَالْشَّرَّ فَخُذُوا نَهْجَ الْخَيرِ تَهْتَدوا وَأصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ الْشَّرِّ تَقْصِدُوا الْفرائضَ، أَلْفرائضَ أدُّوها إلى الله تُوءَدِّكُمْ إلى الْجَنَّهِ إنّ الله حَرَّم حَرامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ وَأحَلَّ حَلالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ وفَضَّلَ حُرْمَهَ الْمُسْلِمِ عَلى الحَرَمِ كُلِّها وَ شَدَّ بالإخْلاص والتَّوحِيدِ حُقوقَ المسلمينَ في مَعاقِدِها» (الخطبة ١٦٧).

وأما كيف ينبغي أن ندقق ونسهل رسالة الله وفقًا لأسلوب نهج‌البلاغة فهو موضوع يتطلب النقاش والدراسة التامة لأن أسلوب الدعاية والإعلام في عصرنا الحالي تقليدي فيجب علينا أن نسعى إلى تحديث الأسلوب الذي نخاطب به المجتمع الفارسي اللغة خاصة الشباب المسلمين. ومن هنا ينبغي أن يستند ويبنى هيكل نهج‌البلاغة الاعتقادي على أساس المضامين الواضحة وغير الملتبسة دون مبالغة أو مغالاة.

مما لا شك فيه أن الخطباء والكتّاب الإيرانيين يتمتعون بنهج‌البلاغة بعد القرآن الكريم ويستفيدون منهما في أعمالهم و آثارهم العلمية والأدبية. ولكن يبقى سؤال مهم وأساسي هو: هل نجحوا في نقل مضامينه إلى شعوبهم أم لا؟ فهو موضوع يناقشه المؤلف في هذه المقالة.

٢ - ١ - التعرّف على المخاطب

يجب أن نعترف بأن الجيل المثقف الحالي والراهن لا يستطيع أن يفهم بعض مفاهيم نهج‌البلاغة لأن كبارنا من رجال الدين والعلم لم يتمكنوا من العمل بشكل إيجابي وفق تذوّق المخاطب. بعبارة أخرى، هم لم يصنّفوا المخاطبين على حسب تذوقهم بل نظروا إليهم بنظرة واحدة. بيد أن المتخصص في الأساليب الأدبية يتطور كل يوم ويفتح آفاق معرفية جديدة للبشر.

وبالتالي، إذا كانت النصوص الدينية، خاصة الكتاب القيم للإمام علي (ع) لا يتم إبلاغها بشكل صحيح ولا تستخدم الأساليب الحديثة لفهمها، ستتولد ردود فعل خطرة في معتقدات الناس الدينية خاصة الشباب الذين يميلون إلى الواقعية. فيهمّهم أن يشعروا أن أغراض كتاب نهج‌البلاغة وآراءه تطبّق في مجتمعهم.

نظرًا إلى ظروفنا الحالية يجب على المجتمع العلمي الأدبي أن يرفع حاجيات الجيل الحالي، خاصة الشباب، عبر الأساليب العلمية والأكاديمية، لأنهم لا يقومون في ضوء علم الاتصالات والفضاء السيبراني، بإحالة مفاهيم نهج‌البلاغة بالطريقة التقليدية. فلذلك من المناسب جدًّا أن نقدم مشروعًا حديثًا لتوفير الحلول المناسبة الواضحة والتطبيقية لتحقيق أهداف هذا الكتاب القيم وآرائه.

ونتيجة لذلك، فإن نقل مفاهيمه يجب أن يكون في إطار المواضيع التالية:

أ) رساله مفاهيم نهج‌البلاغة يجب أن تكون واضحة للجيل الحالي وتتجنب أي نوع من الشفرات والكنايات والتعابير العامة.

ب) يجب أن تُبنى مفاهيم نهج‌البلاغة على إطار علم الاجتماع وعلم النفس اللغويين. فمن الضروري أن نأخذ بعين الاعتبار ظروف المجتمع الفارسي الحالية ونغض النظر عن بعض النقاط غير المستعملة لذلك العصر لأن المجتمع الحالي الذي يعيش القرن الواحد والعشرين يختلف عن الأجيال المنصرمة تمامًا. فالجيل الجديد لن يتبع الشعوب العريقة في ما لايلائمه.

ج) من الأفضل أن ننظر إلى لغة شتى الفئات العمرية ومعرفتها وعلاقتها النفسية في المجتمع من أجل نقل رسالة نهج‌البلاغة.

د) رغم أن آراء بعض الكبار تدل على أنه يجب أن لا تتم الرقابة أو الحذف في شرح نهج‌البلاغة وتفسيرها ولكن مع احترام وجهة النظر هذه، تجدر بنا الإشارة إلى أن أعداء الشيعة اليوم يرّعبون ويخوّفون سكان العالم ضدهم بدوافع سياسية وهذا ضمن جدول أعمالهم ولذلك فمن الأفضل عدم طرح القضايا التي تفرق وتبعد إخواننا أهل السنة عن إخوتهم الشيعة وذلك ضمن رعاية الخط الأحمر الشيعي، حيث يهتم أهل السنة علاوة على أتباع الديانات الأخرى بمفاهيم نهج‌البلاغة وقيمه الكثيرة ويعجبون بها أيّ إعجاب.

هـ) الاستخدام الأمثل لأدوات الإعلام الحديثة، مثل الفضاء الافتراضي الإلكتروني وأجهزة الإعلام الرقمية، يتمكن من أن يجتذب العديد من الجماهير.

و) بناء معايير خاصة تخضع لحاجات واهتمامات القراء لتزيد الدافعية لديهم وتحقق الأهداف المنشودة.

۳- تصنيف مضامين نهج‌البلاغة

يقول البيهقي، صاحب شرح نهج البلاغة: «هذَا الْكتابُ النَّفِيسُ مَمْلُوءٌ مِنْ أَلْفاظٍ يتَهَذَّبُ بِهَا الْمُتَكلِّمُ و يتَدَرَّبُ بِهَا الْمُتَكلِّمُ، فِيه مِنَ الْقَوْلِ أَحْسَنُهُ، وَ مِنَ الْمَعانِي أَرْصَنُهُ، كلامٌ أَحْلى مِنْ نِغَمِ الْقِيانِ، وَ أَبْهى مِنْ نِعَمِ الْجَنانِآ كلام مطلعه كسُنَّةِ البدر، ومَشرَعُه مورد أهل الفضل والقدر، وكلمات وَشيها حِبَر، ومعانيها فِقَر، وخُطَبٌ مَقَاطِعُهَا غُرَرٌ، وَمَبادِؤُهَا دُرَرٌ، اِستِعَارَاتُهَا تَحكي غَمَزَاتِ الأَلحَاظِ المرَاضِ، وَمَواعِظُهَا تُعَبّرُ عَن زَهَرَاتِ الرّياضِ.جَمَعَ قَائِلُ هَذَا الكَلَامِ بَينَ تَرصِيعِ بَدِيعِ، وَتَجنِيسِ أَنِيسِ، وَتَطبِيقِ أَنِيقِ» (البيهقي، ۲۰۰۱: ۹٦/۱). فإذا دعمت جامعات البلاد المتخصصة مفاهيم ومضامين نهج‌البلاغة علميًّا دراسيًّا دون اكتراث بالصراعات الدينية، فسوف يستقبل المجتمع البشري جميعًا لأن كلام الإمام علي (ع) يخترق الحدود والأديان والمذاهب ويؤثّر تأثيرًا إيجابيًّا في النفوس الحرة.

يقول جورج جرداق عن نهج‌البلاغة: «لم أر أحدًا يستحق الكتابة بعد الإمام علي(ع). فهذا هو السبب الذي لم أكتب عن غيره» (دشتي، ۱۳۷۹: المقدمة). فإن معرفة نهج‌البلاغة وتطبيق مفاهيمه الثمينة التي تسبب الرفعة والنشاط في الحياة الفردية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية وغيرها. فتطبيق كلامه يؤدي إلى سعادة المجتمع الديني ورفاهيته فلا ينبغي للمجتمع الديني ألّا يستمتع ويستفيد من مضامين نهج‌البلاغة في حياته اليومية.

لأجل هذا الموضوع يخاطب الإمام الخميني (ره) مؤتمر ذكرى ألفية نهج‌البلاغة ويقول: «وأما كتاب نهج‌البلاغة الذي أنزله روح الله فهو يكفي لتربية المجتمع المعجب بنفسه وتعليمه كما هو شفاء وعلاج للآلام والمعاناة الفردية والاجتماعية لهذا المجتمع» (فئة من الكتّاب، ۱۳٦۰: ۱۹ – ۱۸).

يجب ألا يتطرف المجتمع الديني في نقل مفاهيم نهج‌البلاغة. ومن ناحية أخرى، لايلائم أن يعرقل الانجماد الفكري والعقلي جراء البحوث والدراسات الواسعة النطاق حول هذا الكتاب، لأن الانجماد والانسداد العقلي أسوأ من الجهالة. ومن ثم فإن روح البحث والدراسة لتعريف نهج‌البلاغة يجب أن يكون نشيطًا متجنبًا من التعصب غير الشرعي وغير العقلاني.فلا بد لنا أن نصدّق أن روح التطرف والخرافة ضارة برسالة نهج‌البلاغة جدًّا، بخلاف ما يروجه الأقزام والمتعصبون ويتشوهون به الحقيقة التي لا مفرّ منها.

ومما لا شك فيه أن مواضيع نهج‌البلاغة الأدبية شهدت تطورات لغوية طوال العصور المنصرمة حيث تعقّد وتغمض فهمها جدًّا حتى بالنسبة للجيل العربي الحالي. لذلك فإن الشعوب غير العربية تستفيد من بحوث علمائهم وإنجازاتهم في مضمار نهج‌البلاغة للتعرف المباشر على آراء نهج‌البلاغة ومضامينه.

وقد سلف ذكره أنه يجب التعرف على المخاطب لنقل مفاهيم نهج‌البلاغة حتى يتعلم مفاهيم وآراء هذا الكتاب. ومن جانب آخر يجب تصنيف المخاطبين على أساس السن وشهاداتهم العلمية. كما يجب أن يتم تصنيف وتعيين متضلّعي نهج‌البلاغة ومتخصصيه على أساس المعايير العلمية الحديثة لتَتم عملية نقل مضامين نهج‌البلاغة علميًّا أكاديميًّا. وكل حقل من الحقول التالية يترابط جذريًّا مع الحقول الأخرى في مناهجه وطرائقه وأساليبه ومضمونه تبعًا لاحتياجات وأهداف مخاطبيهم المنشودة.

فلا يتحقق التواصل الكامل بحدوث تفاعل بين المؤلِّف والمؤلَّف دون التأطير والتصنيف لأنهما البوابة الرئيسة لنقل العلوم والآداب لكنه يجب أن يكون ذاك ذا طابع موضوعي لأن نهج‌البلاغة يحوي المواضيع المختلفة بيد أن الشعوب المسلمة تكترث به جدًّا حيث «حفظ الناس عنه من خطبه في سائر مقاماته أربعمائة خطبة، ونيف وثمانون خطبة يوردها على البديهة وتداول الناس ذلك عنه قولا وعملا.» (المسعودي، ١٤٠٩: ٤١٩/٢) فإن مضامين نهج‌البلاغة تفيد جميع المعنيين والمؤسسات بهذا المجال لأنها تؤدي إلى تحكيم المبادئ الدينية والعقائدية وحتى الاستنباطات الفقهية والشرعية. وقد اعتمدت هذه الدراسة على المنهج الوصفيّ التحليليّ وتقسّم مفاهيم نهج‌البلاغة ومضامينها إلى أربع فئات:

٣. ١. البسيطة والأساسية

إن من أبرز المشكلات التي يواجهها اليوم الناطقون بغير العربية أنهم لايفهمون مصطلحات نهج‌البلاغة بيد أننا نرى بعض مواضيع نهج‌البلاغة واضحة ووثائقية لجميع الفئات العمرية والصنوف. فإذا تحدّثنا عن التزكية، والصلاة، والصداقة في القول والعمل، واحترام الآخرين بعيدًا عن الاتجاهات الدينية والجنسية، والأخلاق والحقوق الفردية، وغيرها فيسود ويستتب الأمن والهدوء والأمل على أساس آراء وأقوال علماء النفس وينتعش مجتمع اليوم ويؤدي إلى السلامة النفسية والثقافية والاجتماعية وغيرها كما يقاومهم ويصمدهم إزاء المخاطر المهددة الخارجة عن الدين. فيجب أن نراعي المخاطب بمفهومه الواسع الخاص في شتى الجوانب، وأن يتم نقل مفاهيم نهج‌البلاغة أرفق وألطف بدلًا من العرقلة والتعقيد فحينئذٍ تكون مضامينه مناسبة للمستوى وهو هنا المستوى المبتدئ. فيستنتج المعنى البسيط للمواضيع المذكورة أعلاه. فيعتقد زكي مبارك: «لا مفرّ من الاعتراف بأن نهج‌البلاغة له أصول وإلا فهو شاهد على أن الشيعة كانوا من أقدر الناس على صناعة الكلام البليغ» (الحسيني، ١٩٨٥: ٨٧/١).

٣. ٢. العامة والشاملة

المضامين التاريخية والوطنية، وحقوق الإنسان، والأخلاق الاجتماعية، والمفاوضات والاجتماعات الشعبية، وتصعيد ثقافة المجتمع العامة، وعقلانية المجتمع، ودراسة إشكاليات المفاسد، واختيار المسؤولين الدينيين، والحرية الدينية، ومراقبة الخط الأحمر للمجتمع الإسلامي وغيرها سوف تؤدي إلى الوحدة الدينية والوطنية وتوحيدهما، كما سوف تمنع انهيار المسلمين الديني والجغرافي وبالأحرى تجعل المجتمع الديني مقاومًا ومتحمسًا إزاء المخاطر والمواقف التي تهدد ديانة المجتمع الإسلامي وثقافته السليمة القيمة. فالعملية علمية واعية مدبرة لغرض معين وهو اكتساب المعرفة التامة المضامين العامة بغية التفسير والفهم واقتباس المعاني خاطفًا.

٣. ٣. التخصّصية والأكاديمية

إن لنهج‌البلاغة مضامين فنية وتخصصية جديرة بالتأمل والتحقيق وهي ترتبط بعلوم وفنون شتى فالمواضيع الكلامية والفلسفية والإيدئولوجية والاقتصادية والسياسية والإدارية والعسكرية والصحية والطبية وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيرها من التعاليم القيمة بحاجة ماسّة إلى معرفة متخصصة وعميقة من اللغة العربية. فلا يتمكن عامة الناس وغير العرب من فهمها وتلقيها بسهولة باللغة العربية، وقد يؤدي تلقّيها وقراءتها ونقلها غير صحيحة وغير منهجية إلى تشويه المعاني وانحراف المخاطبين. فإنما يجب على علماء نهج‌البلاغة ومتضلّعيه الأفذاذ أن يقيموا و يبحثوا المواضيع المذكورة أعلاه بعد إلمامهم التام باللغة العربية في مجال تخصصهم الخاص. فإن تعاون مجموعة علمية خبيرة متضلعة في هذا الكتاب يؤدي إلى ترجمة عالية المستوى وتفسير شامل وعلمي أكاديمي دون قراءة خاطئة وتطرّف لكي تُنقل مضامينه من جيل إلى آخر صحيحة صائبة.

٣. ٤. فوق التخصّصية

بقدر ما تكون حاجة ماسة إلى الخبرة الطبية للخدمات الطبية التخصصية وفوق التخصصية ففي العلوم الإنسانية بحاجة أكثر وعلى سبيل المثال إذا كانوا يقولون سلفًا: «طبيب العيون المتخصص!» فاليوم يقال: «طبيب القرنية اليسرى أو اليمنى المتخصص!» فمن المؤسف! اليوم نحن لانرى فوق التخصص في العلوم الإنسانية، خاصة في المسائل الدينية ومكانه فارغ و خالٍ جدًّا. لهذا السبب، فقدت العلوم الإنسانية مكانتها العالية في مجتمعنا.

اليوم نحن نواجه في مناقشة مضامين نهج‌البلاغة القضايا التي تتطلب علماء و باحثين قد اجتازوا مرحلة التخصص لإن المسائل الفقهية والمتشابهات والتناقضات الواضحة، والنقاط الأخرى مثل معاداة النساء والاتجاه إلى الحياة الدنيوية في نص نهج‌البلاغة من المواضيع التي يجيب عليها هؤلاء النتضلعون لا عامة العلماء أو متخصصيها، حتى تتم عملية نقل المفاهيم صحيحة علمية شرعية إلى المجتمع الديني.

النقطة القابلة للانتباه هي أننا نلاحظ وحدة الآراء في المصادر الدينية كافة؛ من جملتها: القرآن الكريم ونهج‌البلاغة والأحاديث الموثوق بها، وغيرها في شتى المواضيع ولن نجد تعارضًا أو تضادًّا بينها. وأما سوء الفهم فيه فهو نتيجة الانحراف الفكري والعقلي، والقراءة غير الملائمة لذلك لأننا نرى نتاج الفهم الصحيح فيه كثيرًا حيث لايحصى ولايحدّ ففي الصدد يقول جورج جرداق المسيحي: «أنا طالعت كتاب نهج‌البلاغة القيم مائتي مرة لإنني رأيت جاذبية خاصة في كلام الإمام علي (ع)» (دشتي، ١٣٧٩: المقدمة).

كلما تمكنت الحدود الفكرية الإنسانية من العثور على آفاق جديده لمضامين نهج‌البلاغة، فلم يُثر إعجاب المذهب الشيعي فقط أثار بإعجاب أهل المذاهب والأديان الأخرى جميعًا. فعلى سبيل المثال هذا المستشرق الفرنسي، هنري كُربون يبدي رأيه عن نهج‌البلاغة ويقول: «يعتبر نهج‌البلاغة بعد القرآن وأحاديث نبي الإسلام (ص) في المستوى الأول من الأهمية ، لأن هذا الكتاب لا يقتصر على مجال الحياة الدينية للشيعة بشكل عام فقط بل الفكر الفلسفي الشيعي ينتمي إليه فعلينا أن نعتبر نهج‌البلاغة أهم المصادر التي لم يزل يرتوي منها مفكّرو الشيعة» (آل ياسين، ١٣٦٠: ٥٦).

٤. الترجمة

تمتاز الترجمة عن باقي المهارات بأنها مهارة مركبة ليس الهدف منها أن ينقل نص نهج‌البلاغة إلى لغة أخرى فقط بل الهدف الرئيس أن يتفهم الناطقون بغير العربية المواقف العلوية على إتقانها. فإن ترجمة نهج‌البلاغة إلى لغات أخرى عملية متعددة الأبعاد لإنها ليست عملية لغوية فقط وإنما أيضًا عملية دينية واعتقادية وأخلاقية. لذا فعلى المترجم أن يحسن الاختيار من الأساليب والاستيراتيجيات، فيختار منها ما يناسب طبيعة نهج‌البلاغة ليتسنى له تقديمها وتعليمها بصورة فعالة. ولا شك في أنه يلزم بنا أن نشكر ونقدّر الشراح والمفسرين والمترجمين الفارسيي اللغة في العصور الماضية والراهنة كافة لأنهم حاولوا أن يخلد نهج‌البلاغة، هذا الأثر الإلهي في مجتمعنا هذا ويبقى إنجازًا شيعيًّا طوال الدهر.

إن المجتمع الفارسي، عليه أن يتقبل أنه لم يستفد منه كما هو حقه حتى يتمكن من تقديم رسالة واضحة إلى المخاطب الفارسي.

وبما أن الناطقين بغير اللغة العربية ينبغي أن يستفيدوا من أبحاث علماء دينهم وباحثيهم في مضمار نهج‌البلاغة وإنجازاتهم فمن الواضح أن التراجم والشروح الغنية تتمكن من أن تفسح مجالات للتعلم وتطبيق مفاهيمه الجميلة والفاتنة. لأن الترجمة تلعب الدور الأساسي والإيجابي في نقل الثقافة والحضارة، والنصوص العلمية والدينية، والروائع والأعمال الأدبية.

وإذا صدّقنا أن للترجمة دورا هامًّا في تقريب الثقافات والحضارات الشتى في عالمنا الحاضر بعضها من بعض، وأن لنهج‌البلاغة قيمًا روحية معنوية وميزات عالية المستوى يختص بما دون غيره فينبغي لنا أن نقبل أهمية ترجمة نهج‌البلاغة لأنها تتمكن من أن تلعب دورًا روحيًّا بنّاء جدًّا للمسلمين وحتى لغير المسلمين. فعلى مترجميه أن يكترثوا بالنقاط التالية في ترجمة نهج‌البلاغة:

أ) ينبغي لمترجميه أن يتعرفوا على جوانب الإمام علي (ع) الشخصية تمامًا علاوة على ميزاته العلمية وخصائصه العامة الأخرى دون تدخّل تعصبهم الديني. وأضف إلى ذلك، لا ينبغي للمترجم المتخصص الصالح أن يتدخل آراءه الدينية والسياسة ومعتقداته الفردية في الترجمة لأنها ستفقد مكانتها القيمة وبالتأكيد تنتهي إلى نوع من التشاؤم حول النص الأصلي في قلوب المخاطبين.

ب) لا ينبغي أن يتحلى مترجمو نهج‌البلاغة ومفسروه بتحيز وتعصب عشوائي له لأنه يمكن أن نرى الانتحال في تدوينه؛ رغم أننا لا نشك في عصمة الإمام علي (ع) جدًّا، بيد أننا نعلم أن الشريف الرضي دوّن خطب الإمام علي (ع) وكلماته القصار وحكمه فرغم احترامنا لمكانة الشريف الرضي العليا فلا ننسى أنه ليس بمعصوم عن الخطأ فبهذا السبب يجدر بنا أن نترك تعصباتنا وتحيزاتنا الشخصية جانبًا فإذا وجدنا مواضيع غير وثائقية تثير الخلاف نحذفها عند الترجمة أو نهمّشها عند الضرورة!

ج) إن بيئة نهج‌البلاغة الاجتماعية والثقافية والدينية تختلف كثيرًا عن البيئة الحالية للغة الهدف. حتى إذا نظرنا إليها نظرة جغرافية فيجدر بنا أن ننوي ونستهدف هذا الموضوع الهامّ. فبَونٌ شاسع بين تذوّق المخاطب الحالي والجو السائد في تلك الأيام. فيمكن القول بأن مفاهيم النصوص الدينية غير متناسقة وغير متناغمة، ثقافيًّا واجتماعيًّا مع ثقافة اللغة الهدف ومجتمعها.

د) نظرًا لعالم الاتصالات والمواصلات الواسع في عصرنا هذا، فلعله يصعب على المخاطب الحالي أن يستخدم مصطلحات نهج‌البلاغة وتعابيره التي كانت سائدة في ذاك الزمن فيتطلب مترجمًا ذكيًا متضلعًا أن يساير شؤون عالمنا الحديث والجو السائد على الشباب حتى يجتذبهم ويزيّن لهم مضامين نهج‌البلاغة بالأمانة والدقة التامة. لذلك، يجب على مترجمي النصوص المقدسة خاصة هذا الكتاب العالي المستوى أن تتم عملية ترجمتهم في غاية الدقة منطبقة على مفاهيم النص حسب تذوق المخاطب المعاصر.

هـ) وإذا صدّقنا أن ترجمة نهج‌البلاغة تبدو ضرورة لا تنكر لإشاعة الدين الإسلامي المبين ونشر الثقافة العلوية العالية فيجب أن تتم عملية الترجمة علمية أكادمية حسب المعايير والموازنات الترجمية الدينية، وإلّا ستؤدي إلى عواقب خطرة من جملتها إعراض الجمهور عن مفاهيم نهج‌البلاغة الثمينة.

يحتاج المترجمون إلى إيجاد حلول فاعلة لتحسين جودة ترجمة هذا الكتاب الثمين. وفي غضون ذلك، ينبغي لخبراء الترجمة ونقادها دراسة التحديات والاستراتيجيات الخاصة به.

إنما المخاطبون غير الناطقين بغير العربية يتعرفون على مكانة هذا الكتاب القيم الحقيقية عبر الترجمة العلمية الأكاديمية فينبغي ألا نقلل من شأن موضوع الترجمة في نقل مفاهيم نهج‌البلاغة بادئ الأمر لأنهم يعانون منها. وإن ترجمة النصوص المقدسة مثله معقدة جدًّا. فيما يلي تراجم لبعض حكم الإمام علي (ع) لكي ينتبه القراء الأعزاء إلى فروقها ثم يختارون ترجمتهم وفقًا لتذوّقهم الخاص:

«الْمَرْاَةُ، شَرٌّ كُلُّها وَ شَرُّ مَا فِيها، اَنَّهُ لابُدَّ مِنْها» (الحكمة/٢٣٠).

أنصاريان: همه چيز زن شرّ است، و بدتر از آن اين كه از وجودش چاره اى نيست.

دشتي: زن و زندگى، همه‌اش دردسر است و زحمت بارتر اين كه از او چاره اى نيست.

شهيدي: زن همه اش بدى است و بدتر چيز او اين كه از او چاره نيست.

تقيه: زن بلاست؛ خدايا! هيچ خانه‌اى بى بلا نباشد!

البنية الدلالية للترجمة: يجب على المترجم الامتناع عن الإتيان بعبارات وجمل ومصطلحات تسيء وتهين الآخرين.

«الْمَرْأَةُ، عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللَّسْبَةِ» (الحكمة/٦١)

أنصاريان: زن عقربی است که گزیدنش شیرین است.

دشتي: نیش زن، شیرین است.

شهيدي: زن کژدمی است، گزیدنش شیرین.

تقيه: نیش (فلان) زن مانند عقرب شیرین است.

یا: زنِ (زود احساساتی) مانند عقرب، نیش شیرین دارد.

البنية الدلالية للترجمة: أولًا: ربما «ال» عهدية والإمام علی (ع) يشير ويلوح إلى شخص معين. ثانيًا: بما أن للعقرب حاسة سريعة الغضب والمشاعر فهذه الميزة هي التي تتمتّع بها النساء أحيانًا.

«الْمالُ، مادَّةُ الشَّهَواتِ» (الحكمة/٥٥)

أنصاريان: مال مادّه شهوات است.

دشتي: ثروت، ریشه شهوت‌هاست.

شهيدي: مال مایه شهوت‌هاست.

تقيه: ثروت بسیار، نقطه آغازین آرزوهای بسیار است.

البنية الدلالية الترجمة: المادة بمعنى العنصر، ونقطة الانطلاق و ... (طبيبيان، ١٣٦٧: المادَّةُ) والشهوات بمعنى الآمال الكثيرة، والأميال الغزيرة (م. ن: مادة الشَّهَوة) فإن ترجمتها إلى "الشهوة" ليست بصحيحة، لأن هذا المصطلح يستخدم بين عامة الناس "المواضيع الجنسية".

٥- الخاتمة

رغم أن تعلّم اللغة العربية يبدو ضروريًّا ولكن يمكننا من أن نعتمد ونعوّل على متخصصي نهج‌البلاغة حتى نتعلم مضامين هذا الكتاب القيم بكل حفاوة ونطبقها في حياتنا الشخصية والاجتماعية ليستتب الأمن الروحي والمعنوي في كافّة شؤوننا.

من ناحية أخرى، إذا درسنا وعالجنا مواضيع هامة مثل علمَي الاجتماع اللغوي والنفس اللغوي في كلام الإمام علي (ع) دراسة عالية المستوى ومعالجة تخصصية فالمخاطب يتعرف على أجواء نهج‌البلاغة ويدرك حقائق ذلك الوقت؛ خاصة بعض المواضيع المتشابهة فيه بحاجة ماسة إلى التوضيح والتفسير وإذا لم تتبين هذه الإيهامات والإبهامات، فإن المخاطبين، خاصة البشر العاديين، يرغبون عنه ويتجهون إلى مواضع الآخرين غير السليمة وذلك يضر المجتمع الديني.

المصادر

آل ياسين، محمد حسن (١٣٦٠ش). *لمن نهج‌البلاغة؟*. ترجمة: محمود عابدي، طهران: مؤسسة نهج‌البلاغة

آيتي، عبد المحمد (١٣٧٧ش). *ترجمة نهج‌البلاغة*. طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

ابن أبي الحديد (١٩٥٩م). *شرح نهج‌البلاغة*. الدراسة: محمد أبو الفضل إبراهيم، لبنان: دار إحياء الكتب العربية.

أنصاريان، حسين (١٣٨٨ش). *ترجمة نهج‌البلاغة*. طهران: مؤسسة دار العرفان.

بيهقي، علي بن زيد (٢٠٠١م). *معارج نهج البلاغة*. تحقيق: أسعد الطيب، قم: مكتب مطبوعات الحوزة العلمية.

حسين، طه (١٣٥٤ش). *علي وأولاده*. المترجم: محمد علي الخليلي، طهران: كنجينه.

الحسيني الخطيب، السيد عبد الزهراء (١٤٠٥م). *مصادر نهج‌البلاغة وأسانيده*. البيروت: دار الأضواء.

دشتي، محمد (١٣٧٩ش). *ترجمة نهج‌البلاغة*. قم: برهيزكار.

رفيعي، جواد و محمد رضا آقايي (١٣٨٦ش). *مفاهيم من نهج‌البلاغة*. قم: مكتب نشر المعارف.

شهيدي، السيد جعفر (١٣٦٣ش). *تمتع الأدب الفارسي من نهج‌البلاغة*. الذكرى الثانية لمؤتمر نهج‌البلاغة، طهران: وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي ومؤسسة نهج‌البلاغة.

شهيدي، السيد جعفر (١٣٨٠ش). *علي (ع) في نهج‌البلاغة*. طهران: مكتب نشر الثقافة الإسلامية.

طبيبيان، حميد (١٣٦٧ش). *معجم لاروس: العربي – الفارسي*. طهران: أمير كبير.

فخر روحاني، محمدرضا (١٣٨٧ش). *اللغات المقدسة والنصوص المقدسة*. الناشر: التعرف على منهجية العلوم الإنسانية.

فئة من الكتاب (١٣٦٠ش). *ذكرى ألفية نهج‌البلاغة*. طهران: مؤسسة نهج‌البلاغة.

المسعودي، علي بن حسين الشافعي (١٩٨٥م). *مروج الذهب ومعادن الجوهر*. البيروت: دار الأندلس للطباعة و النشر.

المطهري، مرتضى (١٣٨٠ش). *نظرة في نهج‌البلاغة*. طهران: صدرا.

منافي الأناري، سالار (١٣٦٩ش). «نظرة في ترجمات القرآن الكريم الإنجليزية». *مجلة الترجمة لجامعة العلامة الطباطبائي*.

چگونگی انتقال آموزه‌های نهج البلاغه به جامعه
«با تأکید بر زبان‌های فارسی و عربی»

محمد حسن تقیه

تاریخ دریافت: ۱۳۹۷/۰۸/۱۸ تاریخ پذیرش: ۱۳۹۸/۰۲/۲۳

استادیار گروه زبان و ادبیات عربی دانشگاه پیام نور تهران، ایران؛ mhtaqiyeh@gmail.com

چکیده

امروز نهج‌البلاغه بنا بر سرچشمه الهی‌اش در دل مردم فارسی‌زبان به ویژه ایرانیان جایگاه بلند مرتبه‌ای دارد. بی‌گمان مترجمان و شارحان فرهیخته آن، نقش به‌سزایی در این زمینه ایفا نموده‌اند. با این وجود نهج‌البلاغه برای بیشتر مخاطبان فارسی‌زبان ناشناخته مانده است. چرا که آموزه‌های این کتاب گران‌سنگ آن‌چنان که شایسته و بایسته است به جامعه بشری منتقل نشده است. مهمّ‌ترین دلایل آن پرنغز بودن کلام امام علی (ع)، سنگین بودن متن اصلی، کم کاربردی بودن برخی اصطلاحات آن، کمبود متخصصان حرفه‌ای و ضعف برخی مترجمان در انجام رسالت حرفه‌ای خود است.

از سویی دیگر تکیه بر روش سنتی تبلیغ، بهره نبردن از ابزارهای روز پیام‌رسانی مانند فضای مجازی، ماهواره و ... و هم‌چنین دسته‌بندی نکردن پژوهش‌ها و علوم نهج‌البلاغه مخاطب‌گریزی را در پی‌داشته است. مخاطب‌نشناسی و طبقه‌بندی نکردن مخاطبان از لحاظ سنی و علمی نیز موجب گریز آنها به ویژه جوانان از مفاهیم ارزشمند نهج‌البلاغه شده است.

نگارنده در این مقاله تلاش می‌کند تا با ارائه راه‌کارهایی علمی و کاربردی زمینه‌ای درست و سازنده را برای انتقال آموزه‌های ارزشمند نهج‌البلاغه فراهم آورد.

کلید واژه‌ها: امام‌علی (ع)، آموزه‌های نهج‌البلاغه، مخاطب‌شناسی، متون دینی، ترجمه‌های نهج‌البلاغه.